1



حكايات مرزبان الحكيم

الجدي والذئب الخائب
و
المرآة والضحاك

بقلم: أ. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم: أ. إسماعيل دياب
إشراف: أ. حمدي مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

الْجَدْىُ والذِّئْبُ الْخائِبُ (1)

كانَ الذِّئْبُ يظنُّ أنه قَنَّاصٌ ماهرٌ ، وصيَّادٌ قَلَّما تُفْلِتُ من مخالبِه فريسَةٌ ..

وبِسببِ ذلك ركبَه الزَّهْوُ والْغُرورُ ، وأخذ يردِّدُ باستِمرارٍ :

ـ أنا أذْكَى صيَّادٍ .. أنا أبْرعُ قنَّاصٍ .. أنا الذِّئْبُ الْماهرُ الذى لا يُشَقُّ لهُ غُبارٌ ..

وكانَ ذلك الذِّئْبُ يعيشُ فى عَرِينٍ ، وسطَ روْضَةٍ غَنَّاءَ ، قريبةٍ منْ بعْضِ الْمراعى الْخصيبةِ ..

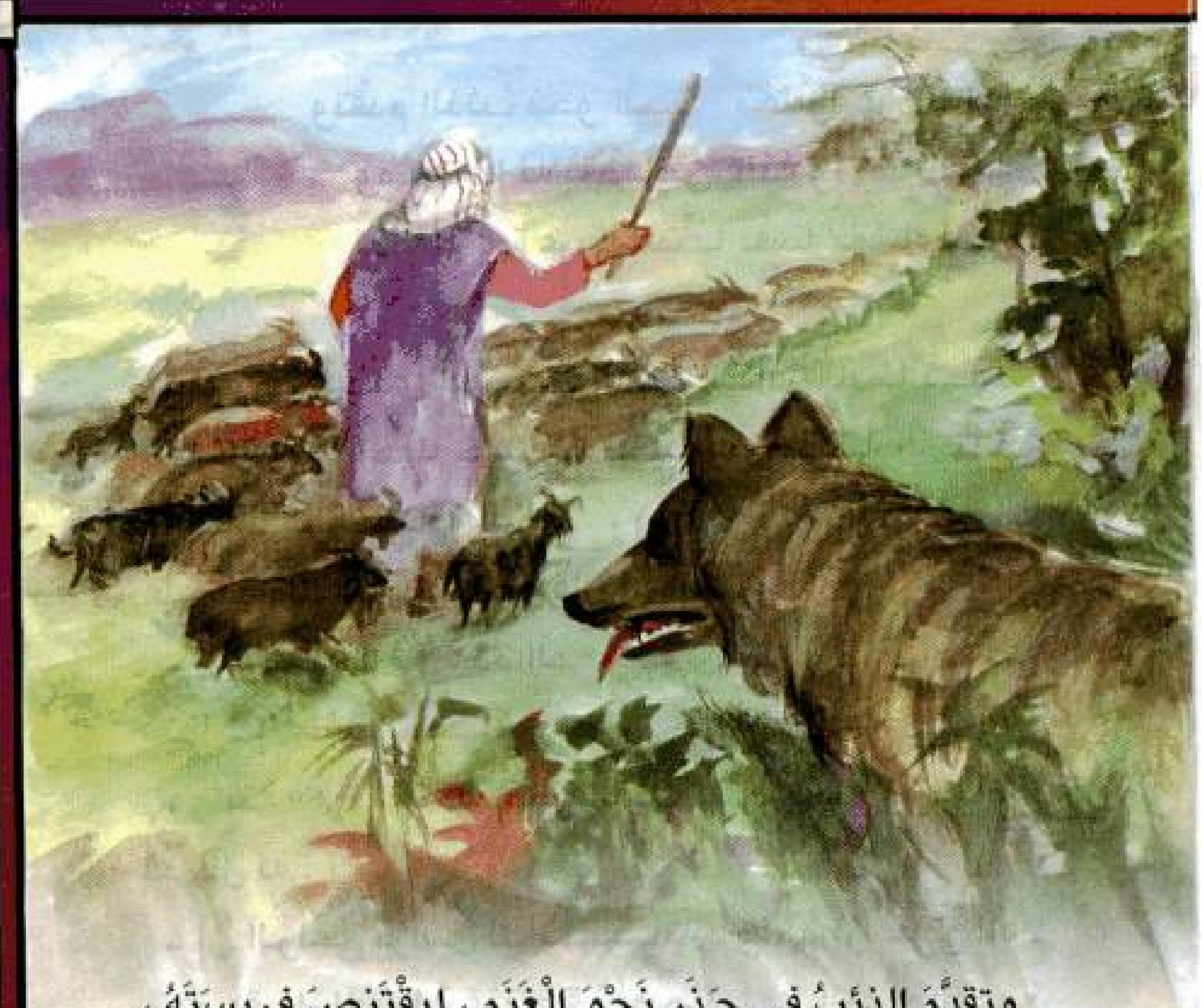
وحتى وقْتٍ قريبٍ كانَ قنَّاصُنا الْماهِرُ يعْتَقِدُ أنَ مسألَةَ الصَّيْدِ بالنِّسْبةِ له شىءٌ هيِّنٌ ميْسور .. ولذلك لمْ يحملْ همًا للصَّيْدِ أبدًا ..

* * *

وذاتَ يَوم شعرَ الذِّئْبُ بالْجوعِ الشَّديدِ ..

فتركَ عَرِينَهُ ، وخرج يَبْحثُ عَنِ الصَّيدِ فى الْمَراعى ، التى اعْتَادَ أنْ يقْتَنِصَ مِنْها فرائِسَهُ .. ولِسُوءِ حظِّهِ لمْ يوَفَّقْ فى هذه الْمرَّةِ إلى صَيْدٍ ، ولَوْ جرْوٍ صغيرٍ يسُدُّ بهِ جُوعَهُ .. فحزِنَ حُزْنًا شديدًا ، وقرَّرَ أنْ يعودَ إلى عَرِينِه ، وقدْ هدَّهُ ألَمُ الْجوعِ .. وراح يلْعنُ حَظَّهُ السَّيِّئَ ..

فى طريقِ عوْدتهِ رأى الذئبُ راعيًا يسُوقُ غنَمهُ ، فسالَ لُعَابُهُ والْتمعَتْ عيْناهُ ببَرِيقِ الطَّمعِ ، وراح يُمَنِّى نَفْسَه بالصَّيْدِ الذى تَهْنَأُ به نَفْسُه ، والْعشاءِ اللَّذيذِ يَسُدُّ بهِ جُوعَهُ ..



وتقدَّمَ الذئبُ فى حَذَرٍ نَحْوَ الْغَنَم ، ليقْتَنِصَ فريسَتَهُ ، لكنهُ لاحظَ أنَّ الراعى مُسْتَيْقِظٌ ، وأنه يحرُسُ غنَمه بعِنايةٍ .. وكَمَنَ الذِّئْبُ قريبًا مِنَ الْغَنَمِ ، وأخَذَ يُراقِبُها ، لَعَلَّهُ يفوزُ بفُرْصَةٍ يَغْفُلُ فيها الرَّاعى عَنْ مُراقبةِ غَنَمِه ، فيقْتَنِصَ واحِدةً ، ويَهْرُبُ بها ..

وعنْدَ الْمساءِ بدأ الراعى يَسُوقُ الأغْنامَ نحو حظيرتِها ، فتَخلَّفَ مِنْها جَدْىٌ صغيرٌ ، ففَرِحَ الذئبُ فى نفْسِهِ فَرَحًا شديدًا ، واسْتَبْشَرَ بالْفَتْحِ والْفَوْزِ ، وزَوالِ النَّحْسِ ..

وتقدَّمَ الذئبُ نحو الْجدْى مُكشرًا عَنْ أنْيابِه ، ومُسْتَعِدًا لِلانْقِضاض عليه والإمْساكِ به ، ليَحْمِلَهُ إلى عَرِينِه مُمَنِّيًا نفْسَه بعَشاءٍ لذيذ ..

* * *

ولما رأى الْجَدْىُ الْمِسْكينُ الذئبَ الْغادِرَ قادِمًا نَحْوَهُ ، أَدْرَكَ أنه قدْ أخْطأَ حينما تخلَّفَ عَنْ بَقِيَّةِ الْقطيع ، وابْتَعدَ عن حِمايةِ الرَّاعِى ، وأَدْرَكَ أنه هالِكٌ لامَحالَةَ علَى يدِ ذلك الذِّئبِ ، لكنَّهُ قال فى نَفْسِه :

- لنْ يُنَجِّينى منْ هذه الْمُصِيبَةِ - التى وَضَعْتُ نَفْسى فيها - إلاَّ حُسْنُ الْحِيلَةِ ..

وواتَتْهُ فِكْرةٌ ، فتقدَّمَ نحوَ الذئْبِ بقَلْبٍ ثابتٍ ، وحيَّاهُ .. ثم قالَ له :

- إِنَّ الراعىَ يُرْسِلُ لك تَحيَّاتِه ، وقدْ أَرْسَلَنى لك ، وهو يقولُ لك : إِنَّ غنَمَهُ قدْ حصل لها الرِّىُّ والشِّبَعُ بسَببِ ما تشْعُرُ به مِنْ أَمْنٍ بِبَركةِ جِوارِكَ لها ، وتواجُدِكَ قريبًا منْها ، وترْكِكَ عادَةَ آبائك وأجْدادِكَ فى افْتِراسِ غنَمِه ..

وقدْ أَرادَ الرَّاعى أَنْ يُكافِئَكَ ، فأرْسَلَنى إِلَيْك لتتعَشَّى بى وأوْصانى أَنْ أُغنِّىَ لك قبْلَ أَنْ تأْكُلَنِى ..

ففرِحَ الذئبُ وقال :

- هلْ أنت حسَنُ الصَّوْتِ ؟!



فقال الْجَدْىُ :

ـ حَسَنُ الصَّوْتِ جدًا ، وغِنائِى حُلْوٌ عَذْبٌ ، فإِنْ أَمَرْتَنى غنَّيْتُ لك غِناءً يُطْرِبُكَ ، وأَسْمَعْتُكَ مالمْ يسْمَعْهُ آباؤكَ ولا أجْدادُكَ ، مما يَجْعَلُكَ مُنْتَشِيًا ، ويفْتَحُ شهِيَّتَكَ لِلأَكْل ..

وبرَغْمِ أنَّ الذئبَ الْغَبِيَّ كان يتضَوَّرُ جُوعًا ، ولمْ يكُنْ فى حَاجَةٍ إِلى غِناءٍ أَوْ بُكاءٍ ، حتى يفْتَحَ شَهِيَّتَهُ لِلأَكْلْ ، إِلاَّ أنه انْخَدَعَ بكلامِ الجدْى الْمُنَمَّقِ ، وقال :

ـ لا بأْسَ أَيُّها الجَدْىُ الْمهذَّبُ ، دعْنِى أَسْمَعْ صوْتَكَ ..

غَنِّ لى قبْلَ أَنْ أَبْدأَ فى الْتِهامِكَ ..
فاغْتَنَم الْجَدْىُ الْفُرْصَةَ ، ورفعَ صَوْتَه بالصِّياحِ والصُّراخِ حتى مَلأَ الْوادِى ، فَطَرِبَ الذئْبُ بشِدَّةٍ وقالَ :
- ارْفَعْ صَوْتَكَ أَعْلَىَ .. أَعْلَىَ .. أُريدُ أَنْ تُطْرِبَنِى أَكْثَرَ ..
فأَخَذَ الجَدْىُ يُطْلِقُ صُرَاخَهُ وصِياحَهُ ، حتى مَلأَ الْوادِىَ ، والذِّئْبُ الخائِبُ يُنْصِتُ ، غافِلاً عما سيَنالُهُ بعْدَ قليلٍ ..

* * *

وسمعَ الرَّاعى صُراخَ الْجَدْى ، ورأَى الذئْبَ يقفُ أَمامَهُ مُسْتَعِدًا لِالْتِهامِهِ ، فأسْرعَ نَحْوَهُ حاملاً هِرَاوَتَهُ ..
ولمْ يتَنَبَّهِ الذئْبُ إلاَّ والرَّاعى أَمامَهُ رافِعًا هِرَاوَتَهُ ، ويَهُمُّ بأَنْ يَنْهالَ بها على رأْسِهِ ، فَفَرَّ هاربًا وَنَجَا بنفْسِهِ ..
وأَخذَ الراعى الْجَدْىَ فَعادَ به إلى الْحظيرَةِ وأدْخَلَهُ مع بَقِيَةِ الْقَطيعِ ..
وقدْ تعلَّمَ الْجَدْىُ مِنْ هذه التَّجْرِبَةِ - التى كادَ يدْفَعُ حيَاتَهُ فيها - أَلاَّ يشْرُدَ عنْ بَقِيَةِ الْقَطيعِ ..
أَمَّا الذئْبُ الْخائبُ ، فقدْ عادَ إلى عَرِينِهِ يَجُرُّ أَذْيالَ الْخَيْبَةِ والْهَزِيمَةِ ..
وعِنْدَما كانَ الْجوعُ يُمَزِّقُ أَحْشاءَهُ ، أَخذَ يضْرِبُ رأْسَهُ ، ويَجْذِبُ أُذُنَيْهِ بِيدَيْهِ ، وهو يلومُ نفْسَه قائلاً فى غَيْظٍ :



ـ أَيُّها الْغَبِيُّ الْخائبُ يا قَليلَ الْعَقْلِ ، مَتَى كانَ آباؤُك وأجْدادُكَ يتَنَاوَلونَ الطَّعامَ ، وعلى مَوائِدِهِمْ الْمُغَنُّونَ ؟!

لولا أنَّنِي عَدلْتُ عن طريقِ آبائى وأَجْدادِى ، ماأفْلَتَ منِّى صَيْدى ..

وعِنْدَما شعرَ بآلامِ الْجوعِ ، أَخَذَ يتحسَّسُ بطْنَهُ قائِلاً :

ـ نَمْ جائعًا أَيُّهاَ الْبَطْنُ الْخاوِى .. لقدْ مضَى وقْتُ الْغِناءِ ، ولمْ يَبْقَ إِلاَّ الْبُكاءُ ..

(تَمَّتْ)

الْمِرْآةُ والضَّحَّاكُ (2)

كانَ الضَّحَّاكُ مِنْ أَحْسنِ الْحُكَّامِ فى زَمَانِه سِيرَةً وعَدْلاً ..

وكانَ رَجُلاً ثَرِيًا نافِذَ الْكَلِمَةِ ، ذَكِيًا يُحبُ الأذْكِياءَ ويُكْرِمُهُمْ ..

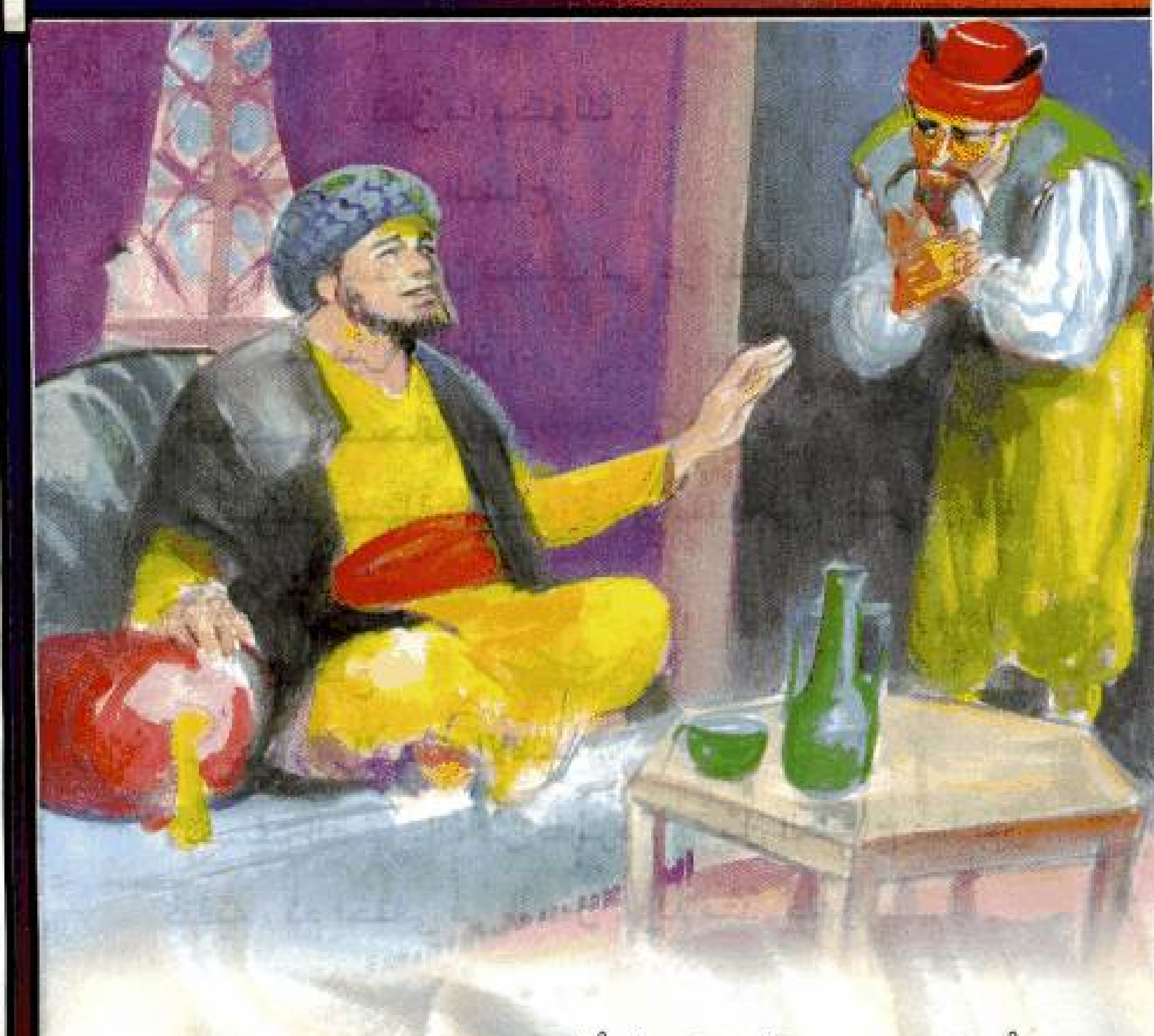
وذاتَ يْومٍ تنكَّرَ له إبْلِيسُ اللَّعِينُ فى زِىِّ طَبَّاخٍ حَسَنِ الْهَيْئَةِ والثِّيابِ ، فأَلْحقَهُ الضَّحَّاكُ بالْعَمَلِ لديْهِ وجَعلَهُ طَبَّاخَهُ الْخاصَّ ..

وأخَذَ إبْليسُ يُعِدُّ له كلَّ يوْمٍ مِنْ أَصْنافِ الطَّعامِ الشَّهِىِّ اللَّذيذِ ما يَعْجِزُ عَنْ صُنْعِه غَيْرُه مِنْ مَهَرَةِ الطَّبَّاخِينَ ، ولمْ يكُنْ يأخذُ على عَمَلِه أجرًا ، فقَرَّبَهُ الضَّحَّاكُ إِليْه ، وصارَ يُبْدِى إِعْجابَهُ كلَّ يوْمٍ بما يُقَدِّمُهُ له طبَّاخُهُ الْماهِرُ ..

واسْتَمرَّ الْحالُ على ذلك مُدَّةً مِنَ الْوَقْتِ ..

وذاتَ يْومٍ قال الضَّحَّاكُ مُخاطِبًا طبَّاخَهُ :

ـ أيُّها الطَبَّاخُ ، إِن لكَ علَىَّ حُقُوقًا ، وأُريدُ أَنْ أُكافِئَكَ بها ، فَتَمنَّ أىَّ شَىْءٍ تُريدُهُ ، وأَنا أحَقِّقُهُ لك فى



الْحال ، حتى ولوْ كانَ مِنَ الْمُحالِ ..

فقالَ الطبَّاخُ :

- إنَّ لِى أُمْنِيَّةً واحِدةً ، لوْ حقَّقْتَها لى أكونُ شاكِرًا لك فَضْلَكَ ما حَيِيتُ ..

فقالَ الضَّحاكُ :

ـ تَمَنَّ ما يَحْلُولكَ ..

وقالَ الطباخُ :

ـ أُمْنِيَتِى أَنْ تكْشِفَ لى عنْ ظَهْرِكَ ، حتى أُقَبِّلَ ما بَيْنَ كَتِفَيْكَ ..

فتعجَّبَ الضحَّاكُ وقال :

ـ أُمْنِيَّتُكَ سَهْلَةٌ مَيْسورَةٌ ، وحقُّكَ علىَّ أكْبَرُ من ذلك بِكثيرٍ ..

فقال الطبَّاخُ :

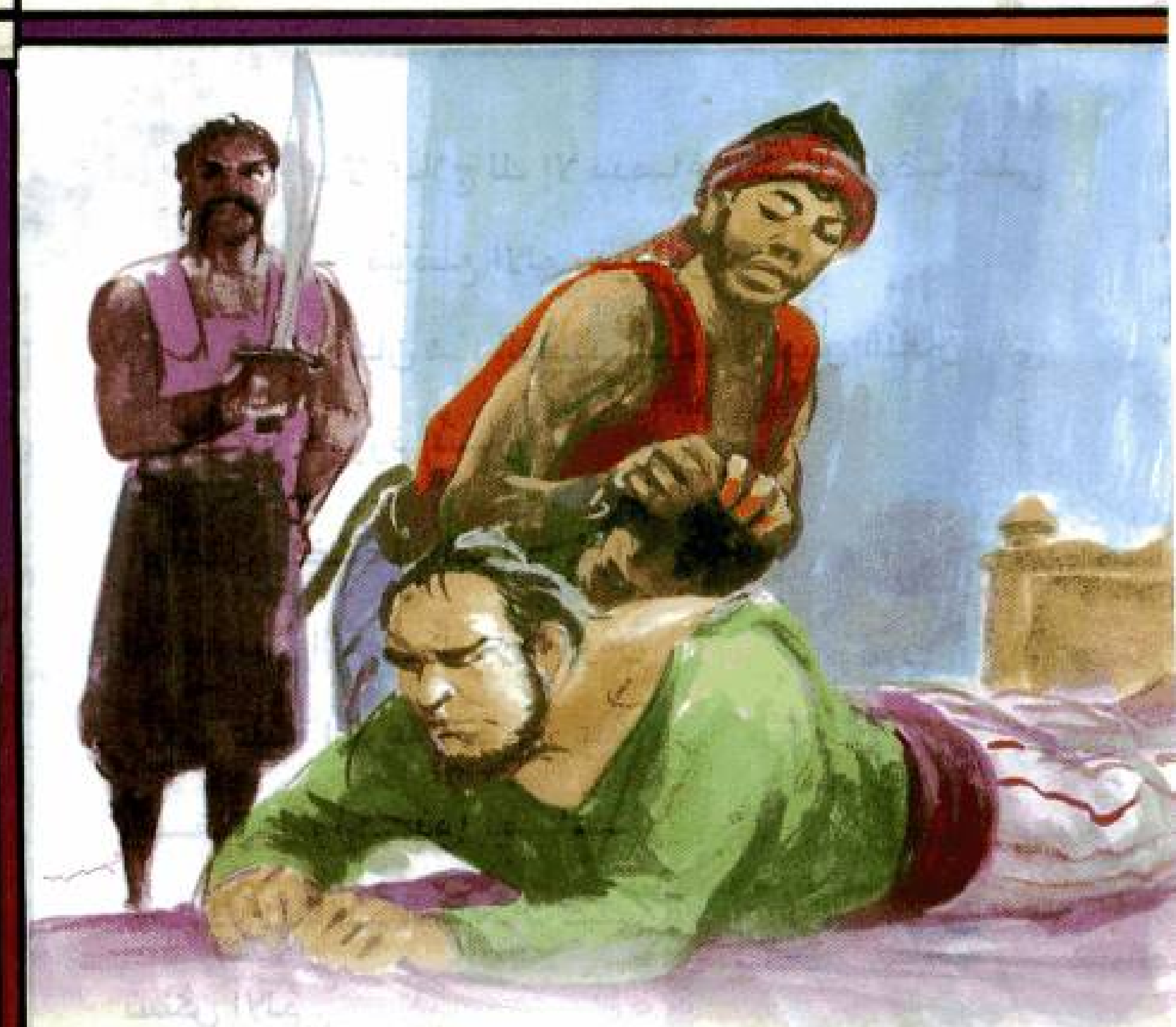
ـ ليْسَ لىَ إلاَّ هذه الأُمْنِيَةُ ..

فكشَفَ الضَّحاكُ عنْ ظَهْرِهِ ، وقَبَّلَ الطَّباخُ ما بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، ثم اخْتَفَى فى الْحال ، ولمْ يعُدْ يَظْهرُ ..

* * *

أمَّا الضَّحاكُ فإنهُ شَعَرَ بِحَكَّةٍ فى الْمَوْضعِ الذى قَبَّلَهُ فِيه الطَّباخُ ، وصارَ يحُكُّ ذلك المَوْضِعَ باسْتِمْرارٍ ، وكأَنَّ عقْرَبًا لَدَغَتْهُ ..

وبعْدَ عِدَّةِ أيَّام خرج من ذلك الْموْضعِ حبَّتَان كأَنَّهُما عِنَبَتانِ ..



ولمْ يَعُدِ الضُحاكُ يستَطِيعُ النَّوْمَ منْ شِدَّةِ اللَّدْغِ والألَمِ ، فاستَدْعى الأَطِبَّاءِ ..

وحارَ الأطِبَّاءُ في عِلاجِ آلامِ الضُحاكِ بكُلِّ الأَدْوِيَةِ المَعْروفَةِ في زَمَانِهِمْ ..

وذاتَ يْومٍ ظهر طبيبٌ بارِعٌ ، فلما كشَفَ على مَوْضعِ الأَلَمِ قالَ للضُحاكِ :

ـ لا عِلاجَ لك إلاَّ بِدِماغِ إِنْسانٍ يُوضَعُ على مَوْضِعِ الأَلَمِ ، فيَسْكُنُ ..

وكانَ هذا الطَّبيبُ أَيْضًا إِبْليسَ اللَّعينَ ، فى صُورَةِ إِنْسانٍ ..

وأَصْدَرَ الضَّحاكُ أمْرًا بإِجْرَاءِ الْقُرْعةِ بيْنَ النَّاس كُلَّ يوْمٍ ، ومَنْ وقعَتْ علَيْه الْقُرْعةُ قَبضوا علَيْهِ وقَتلوهُ ، وأَخَذوا دِماغَهُ فَعالَجُوا به أَلَمَ الضَّحاكِ حتى يَسْكُنَ الأَلَمُ .

وفى الْيوم التالى يكُونُ الدَّوْرُ علَى إِنْسانٍ جَديدٍ لِيُقْتَلَ ..

وهكذا تحوَّلَ الضَّحاكُ مِنْ إِنْسانٍ طيِّبٍ مُسالِمٍ إلى دِرَاكيولا مَصَّاصِ دِمَاءٍ ، يَقْتُلُ النَّاسَ ،

حتى تسْكُنَ آلامُهُ وتهْدأَ ..

* * *

وذاتَ يومٍ وقعَتِ الْقُرْعَةُ على ثَلاثَةِ أشْخاصٍ ، فقبضَ علَيْهِمْ جُنْدُ الضَّحاكِ ووضعوهُمْ فى السِّجْنِ ، حتَّى يَجْرِى علَيْهِمْ ما جَرَى على غَيْرِهِمْ منَ الْقَتْلِ ..

وجاءتِ امْرأةٌ للضَّحاكِ مُتَظَلِّمَةً ، وكانَ أَحدُ الأَشْخاصِ الثَّلاثَةِ هوَ زَوْجُها ، والثَّانى هو ابْنَها ، أما الثَّالِثُ فكانَ أَخَاها ..

وخَيَّرَها الضَّحاكُ أَنْ تخْتارَ واحِدًا مِنَ الثلاثةِ ، حتى يُطْلِقَ سَرَاحَهُ إِكرامًا لهَا ..

تقدَّمتِ الْمَرْأةُ إلى السِّجْنِ ، ونظرتْ إلى زَوْجِها وابْنِها وأَخِيها ..

ثم قالتْ :

- أَخْتارُ أَخى ..

فلما رأى الضحاكُ ذلك تعَجَّبَ مِنْ أَمْرِ المَرْأَةِ ، وسألَها قائِلاً :

- عَجَبًا لأمْرِكِ ، أُخَيِّرُكِ بيْنَ زَوْجِكِ وابْنِكِ وأَخيكِ ، فَتَخْتارينَ أَخَاكِ ؟!

فقالتِ الْمرأةُ :

- لا تَعْجَبْ يا ضَحَّاكُ ، فإنَّ عِنْدى أَسْبابًا قوِيَّةً لاخْتِيار أَخى مِن دُونِ زَوْجى وابْنِى ، واخْتِيارِى ليْسَ عبَثًا ..

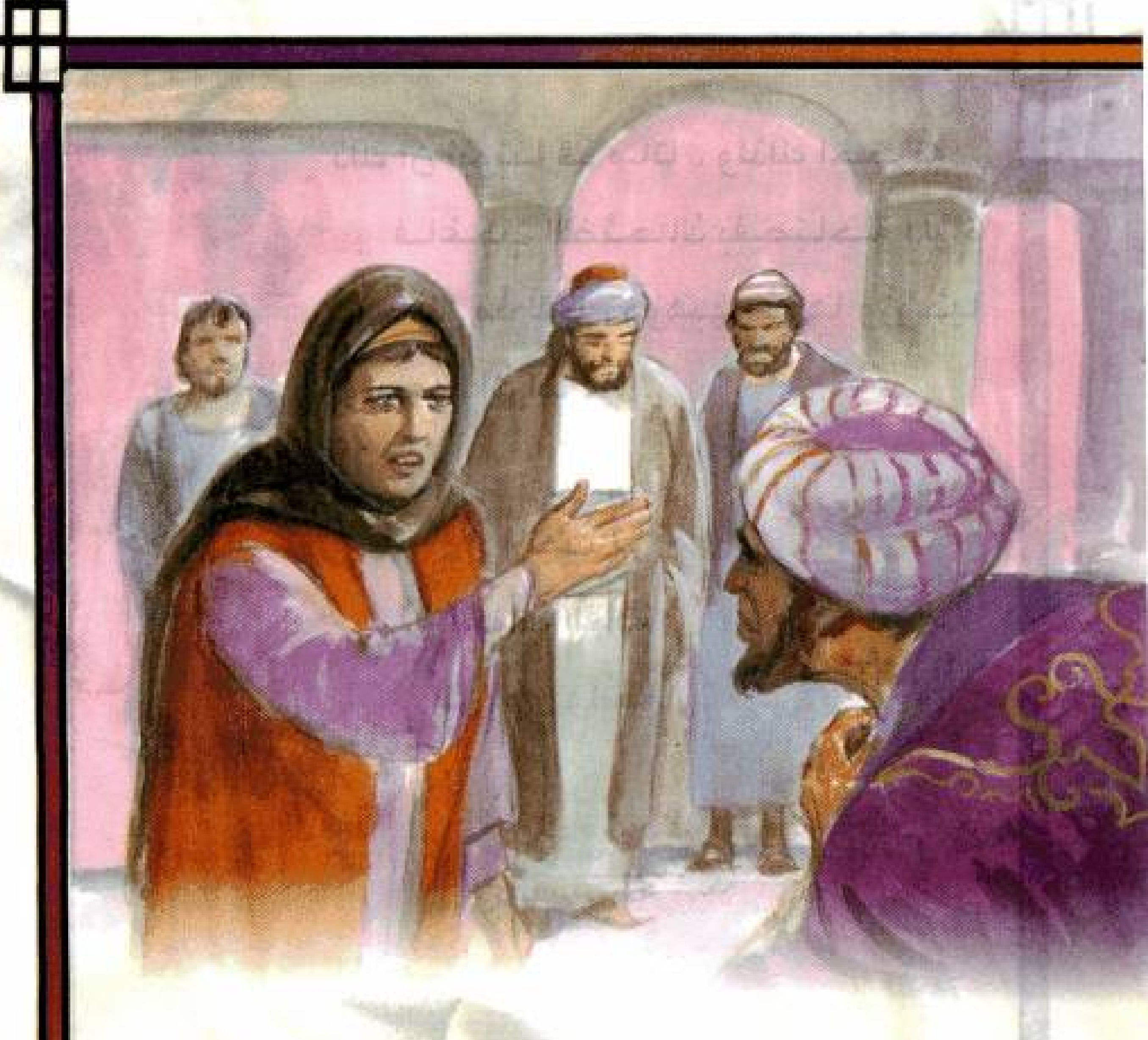
فقالَ الضحَّاكُ :

- ما هى أسْبابُكِ ؟!

فقالتِ الْمرأةُ :

- لقدْ رأيْتُ زوْجى ، فتذكَّرْتُ طِيبَ عِشْرَتِه ، وحُسْنَ فِعَالِه ، فَهَمَمْتُ باخْتِيارِه ..

ثم رأَيْتُ ابْنى ، فَحَنَتْ عليْه جَوَارِحى ، وتذكَّرْتُ ما مضَى مِنْ حَمْلى لهُ ووِلادَتِه وسَهَرى عليْه وتَرْبِيَتِه ، فهَمَمْتُ باخْتيارِه ..



ثمَّ رأَيْت أَخى فـأَدْرَكْتُ الصَّوابَ وبانتْ لىَ الْحَقِـيقَـةُ كاملِةً ، فقلتُ :

إنْ ضاعَ زوْجى ووَلدِى فمنَ الْمُمْكِنِ انْ أُرْزَقَ الْعِوَضَ عَنْهُما ، فإنْ شِئْتُ تزَوَّجْتُ غيْرَ زَوْجى ، ويُولَدُ لى وَلَدٌ غيْـرُ وَلَدى .. أمَّـا الأَخُ فلَيْسَ لى بَدَلٌ ولا عِـوَضٌ عنْهُ ،

ذلك أَنَّ أَبَوَيْنَا قدْ مَاتا ، ولذلكَ اخْتَرْتُه ..
فَأُعْجِبَ الضَّحَّاكُ بفصَاحَةِ المرْأةِ
وحُسْنِ مَنْطِقِها ، ووَهَبهَا أَخاهَا وزَوْجَها
وابْنَهَا ، إِكرامًا لهَا ..

(تَمَّتْ)

الكتابُ الْقادِمُ :

ابنُ آوَى والْحِمارُ

رقم الإيداع : ٢٧٢٤٤
٩٧٧ - ٢٦٩ - ٣٤١ - ٤

المطبعة العربية الحديثة
٨، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية العباسية
القاهرة : ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ - ٢٨٣٥٥٥٤